الحرف العربي في المخطوط الموريسكي
هوية أدبية وحضاريّة بعد تسليم مملكة غرناطة
897-1018هـ - 1492-1609م

The Arabic letter in the Morisco script
A literary and civilized identity after the handover of the Kingdom of Granada
AH - 1492 - 1609 AD 1018 - 897

Assist. Prof. Dr. Qusay Adnan Saeed Al-Husseini

Al-Mustansiriyah University/ College of Arts, Arabic language Dept.

الأستاذ المساعد الدُكتور

قصي عدنان سعيد الحسينيّ

الجامعة المستنصريّة / كليّة الآداب/ قسم اللغة العربيّة

البريد الالكتروني : dr.qusayadnan61@gmail.com

هاتف : 009647901536065 / 009647722235778

المستخلص

نجح مسلمو الأندلسـ من الموريسكيين ـ بعد تسليم مملكة غرناطة 879هـ ـ 1492م، في حفظ تراثهم الفكري بما يضمّ من نتاج ديني وأدبي وثقافي، ونتيجة الأزمة الخانقة الّتي فرضتها قرارات "ديوان محاكم التّفتيش" من المنع المطلق لجميع مفردات حياة مسلمين الأندلس من معاملات، وعبادات ، وعماد ذلك هي "اللغة العربيّة"، والكتابة باللغة العربيّة واحدة من أبرز القضايا الّتي أرّقت مضاجع التّاج الإسباني والكنيسة! فعمدوا إلى ابتكار طريقة لحفظ تراثهم، والتحدّي والاعتزاز بقداسة الحرف العربي، وكان هذا الإجراء بمثابة الصّفعة الّتي وجهها أحفاد الأندلسيين قبالة تلك الحملة الوحشية لمسخ الهُوية الإسلامية!

وقد أُطلق فيما بعد على لغة تلك المخطوطات بـ"لغة الألخميادو"، وامتد العمل باستعمال هذه اللغة حتى اصدار القرار الجائر كما اسموه بـ "قرار الطّرد النّهائي"، وهو قرار لم يستطع لا التّاج الإسباني، ولا ديوان محاكم التّفتيش من اقتلاع جذور الأندلسيين الّذين عمّروا شبه الجزيرة الأيبيرية بحضارة شهد لها القاصي والدّاني، فسجّلوا بهذه اللغة النّصوص الشّعرية والنّثرية، ومتون أدب الرّحلات، فما وصل من تراث يكشف عن كنه هويتهم، ومدى أصالتها، ومتانة جذورها العربيّة، والإسلاميّة .

الكلمات المفتاحيّة : الحرف العربي، المخطوط الموريسكي، الهُوية، لغة الألخميادو، الموريسكيون، محاكم التّفتيش.

Abstract:

The Muslims of Andalusia – the Moors – after the handover of the Kingdom of Granada 879 AH – 1492 AD, succeeded in preserving their intellectual heritage, including religious, literary and cultural products, and as a result of the stifling crisis imposed by the decisions of 'the Office of the Inspector's court' of the absolute prohibition of all aspects of the lives of the Andalusian Muslims from dealings and worship, the mainstay of that is the "Arabic language", and writing in Arabic is one of

the most prominent issues that haunted the Spanish crown and the Church! They devised a way to preserve their heritage, challenge and cherish the sanctity of the Arabic letter, and this measure was a slap in the face of the Andalusian descendants against that brutal campaign !

The language of those manuscripts was later called the "Aljamiado language", and the use of this language extended until the issuance of the unjust decision, as they called it "the final expulsion decision", a decision that neither the Spanish Crown nor the Office of Inspection Courts were able to uproot the roots of the Andalusians who inhabited the Iberian Peninsula In a civilization that was witnessed by the far and the near, so they recorded in this language the poetic and prose texts and the texts of travel literature, what arrived from the heritage reveals their identity.

Keywords: Arabic letter, Morisco script, identity, Aljamiado language, Moriscos, inspection courts.

المقدِّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين وصلّى الله تعالى على خير خلقه محمّد وآل محمد خير الورى سجيّة، ونحمده على نعمة التّوجيه والعناية والبحث نحو تراث بقايا أمتنا العربيّة ، والإسلامية المُغَيّب لأواخر مسلمي الأندلس، الّذين عرفوا فيما بعد بـــ(الموريسكيين)، وفتح مسالك جديدة في البحث الأدبيّ أمام جيل جديد من الباحثين من حملة الشّهادات العليا (الماجستير والدُّكتوراه)، والمهتمين بتراثنا العريق، بعد أنْ كانت المساحة الزّمنيّة بعد تسليم مملكة غرناطة (897هـ ــ 1492م) منطقة معتمة في الفضاء المعرفي العربي، وفيها الكثير من التّجنّي على مجتمع عاش وناضل وقاتل

من أجل إثبات هويته الإسلامية، حتّى ترك لنا تراثا ضخماً، وكما صنّفه الباحث الجزائري الدّكتور حنيفي هلايلي، قد شمل أنواعاً من الكتابات، هي :

ــ كتابات ذات طابع قصصي، استمد الموريسكيون مادّتها من تاريخ الغزوات الإسلاميّة للنّبيّ الأكرم "ص وآله" مع المشركين.

ــ كتابات ذات طابع جدلي، وقد خصّصها الموريسكيون للدّفاع عن العقيدة الإسلامية.

ــ كتابات فقهية، تلبّي حاجة المجتمع الموريسكي في العبادات والمعاملات.

لقد أعطى المؤرخ الإسباني المعاصر "فرمين مايورغا" في كتابه (موريسكيّو الهورناتشوس، المصلوبون وعلى رؤوسهم تيجان الشّوك) صورة واضحة جدًّا، ومختصرة للواقع الّذي صاحَبَ نقض الحكومة الإسبانية لجميع بنود اتفاقية تسليم مملكة غرناطة سنة 1499م، أي بعد سبع سنوات تقريباً من التّوقيع عليها بين آخر حُكّام بني نصر من الغرناطيين "أبي عبد الله الصّغير"، والمِلكَين الكاثوليكيين فرناندو وإلزابيث، حيث طَالبَ الكاردينال المتطرّف "سيسنيروس"، بعد توليه منصب رئيس أساقفة إسبانيا الحكومة الإسبانية بالتّخلّي عن سياسة المسامحة، والعمل على جناح السّرعة بتحويل مسلمي الأندلس إلى النّصرانيّة، ما أدّت هذه السّياسة الوحشيّة إلى أوّل انتفاضة لسكّان "حي البيازين"، وسرعان ما امتدّ لهيب هذه الانتفاضة إلى "جبال البُشرات" وقد عانى الموريسكيون أشدّ المعاناة بعد منعهم من التّعامل باللغة العربيّة كلغة تخاطب ومعاملات، وهذه واحدة من أهم ما جاء في المراسم الإجرامية الّتي أصدرها شارل الأوّل شارلكان "1516ــ1556م، بحق الموريسكيين، ومن هذه الممنوعات:

مرسوم خاص بالملابس الإسلاميّة ومنعها، ومرسوم خاص بالذّبائح ومنع الطّريقة الإسلامية في الذّبح، ومرسوم خاص بمعاقبة من يمارس الشّعائر الإسلاميّة، ومرسوم خاص بمنع الكتب العربيّة، والأسماء العربيّة، والمحادثة والكتابة بالعربية، وعليهم تعلُّم اللغة الإسبانيّة، وغيرها من المراسم الّتي ذكرها الدّكتور حنيفي هلايلي، والّتي أحالت الفضاء الإسباني الّذي يعيش فيه الموريسكيون سجنًا مروعا تُحْسَب عليهم حتّى أنفاسهم ولفتاتهم!!

لذا كانت الكتب الّتي يُعثر عليها بحوزة أي موريسكي ومكتوبة باللغة العربيّة، تُعدُّ جريمة تعاقب عليها محاكم التّفتيش بالموت حرقًا! فابتكر الأديب الموريسكي طريقة في الكتابة لِيُنْقِذَ ما يمكن

إنقاذه، فابتدأ يكتب باللغة الإسبانيّة القروسطية، وهي اللغة القشتالية للقرون الوسطى لكن بالحرف العربي! وبهذا تمكّن من إفلات الكثير من المصنفات الموريسكية الّتي كتبت بـــ(لغة الألخميادو) أي الأعجمية.

لقد شكّل الحرف العربي المادة الأساسيّة في المخطوط الموريسكي، ولولا ــ الحرف العربي ــ ما تمَّ حفظ أية مخطوطة موريسكية، ولضاع علينا نِتاج (العصر الموريسكي) "897ــ1018هـ / 1492ــ1609م"، جملة وتفصيلًا، ووفقًا للحاجة الماسّة لتعريف المجتمع الأكاديمي في مشرقنا العربيّ، بالنِّتاج الأدبيّ والفكريّ الموريسكي الّذي يجهل ألف باء ذلك العصر المأساوي من تاريخ العرب والمسلمين في حضارتنا العربيّة.

جاء بحثي الموسوم (الحرف العربي في المخطوط الموريسكي، هوية أدبيّة ، وحضاريّة بعد تسليم مملكة غرناطة) بمقدّمة ومبحثين وخاتمة، جاء المبحث الأوّل (لغة الألخميادو حاضنة الحرف العربي)، وضّحتُ فيه كيف تمّ كتابة المخطوط الموريسكي، بالرغم من كل ألوان التّرهيب الّتي استخدمت ضدَّ مَنْ يُخفي كتابًا أو يحتفظ حتّى بورقة مكتوبة باللغة العربيّة فمصيره الموت المحتوم!

والمبحث الثّاني جاء في (النِّتاج الأدبيّ الموريسكي)، ويشتمل على ضفتي الأدب من شعر ونثر، الّذي يُنشد ويقصّ صراعات إثبات الهوية الإسلاميّة، إذ صوروا لنا أدّق لحظات شغفهم باللغة العربيّة، وأروع لحظات المقاومة وإثبات الذّات العربيّة والإسلاميّة، وأكثر الأوقات رُعْبًا قُبالة محاكم التّفتيش!

وفي الخاتمة سجّلت مقترحاتي للمسؤولين في المؤسّسة الأكاديمية العراقيّة والمشرقية وحتّى المغاربيّة بضرورة توجيه الدِّراسات الأكاديمية في مرحلتي الدِّراسة الأوليّة ، والعُليا، وجعل هذه الجنبة من تراثنا الفكري مادة دراسيّة ــ تعليميّة محضة.

ما قدّمته هو إلقاء ما على كاهلي من مسؤولية أخلاقيّة وعلميّة اتجاه مجتمع أواخر مسلمي الأندلس من الموريسكيين الّذين غُيّبوا قسرًا عن مسرح الحياة، وهذا المجتمع يُشكّل جزءاً من تراثنا الرّوحي والحضاري في عالمنا العربي ، والإسلامي.

المبحث الأوّل :

لغة الألخميادو حاضنة للحرف العربيّ

لقد كتب الموريسكيون مجمل تراثهم الفكري بـــ(لغة الألخميادو)؛ ولذا عُرِف أدبهم بـــ(أدب الألخميادو أو الألخميادية) الأعجمية، وهو الأدب المكتوب باللغة الإسبانية أو البرتغالية أو الكتالونية (هي إحدى اللغات الّتي تنتمي إلى عائلة اللغات الهندوأوروبية الرُّومانسيّة، وهي لغة منطقة كتالونيا الّتي تقع شمال شرق المملكة الإسبانية) (موقع ، Wikiwand، اللغة الكتلونية)، بحروف عربيّة كتبه الموريسكون على مدى القرون من الرّابع عشر إلى القرن السّادس عشر (مرثيديس غارثيا أرينال، 2003، صفحة 96)، وهذا يوافق رأي الدّكتور عليّ الكتّاني في تاريخ نشأة "لغة الألخميادو"، بين مدجني مملكتي أراغون وقشتالة، لكنه يُحدِّدُ الفضاء الزّمني لاندثارها، وهو القرن الثّامن عشر، أي أنّ عمرها امتد إلى حدود (400) سنة، وترى الباحثة الجزائرية "سميرة فخر الدِّين" إنّ الأدباء الموريسكيين الّذين ابتكروا هذا اللون من الكتابات، وهو لون تختلط فيه ألوان التّراجيديا، وأضيف أيضاً الكثير من موضوعات التُّراث الرُّوحي الدِّيني الإسلامي، وكذلك فيا يخص السَّرد التاريخيّ والأدبيّ، وترى الباحثة فخر الدِّين أنّ هؤلاء الأدباء ينتمون وبكل تأكيد إلى "العصر الذّهبي الإسباني"، هذا الرأي صحيح من النّاحية السّياسية لتقسيمات عصور الأدب، لكنني أرى أنّ هذا الأدب ينتمي إلى "العصر الموريسكي 897 ــ 1018هـــ ــ 1492 ــ 1609م"، والممتد قرابة (120) عاماً، من بعد تسليم مملكة غرناطة، وهي حافلة بكل ألوان الجهاد والصّراع وبذل الدّماء من أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية بما فيها اللغة العربية الّتي يمثلها كتابنا العزيز "القرآن الكريم" الّذي حدّدته في بحثي الموسوم (العصور الأندلسية، قراءة تحقيبية جديدة، العصر الموريسكي أنموذجاً 897 ــ 1018هـــ ــ 1492 ــ 1609م) (قُدِّم هذا البحث في المؤتمر الدُّولي الثّامن عشر الّذي عُقِد في تونس عام 2017م، وحصلتُ على أساسه على ريادة على دول المشرق العربي "بلاد الشّام والعراق وبلدان الجزيرة العربية" وذلك؛ بإضافة عصر جديد إلى عصور الأدب في الأندلس (مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد 66، 2019 و خوان كروميناس، 1991)، وقد ظلّت الكتابات الألخميادية سائدة ومستعملة لدى الموريسكيين إلى عهد بعيد من تاريخ تسليم مملكة غرناطة "897هـــ ــ 1492م"، حتّى وصلت إلى سِنِي عمليات التّرحيل الجماعي "1609 ــ 1614م" وقد امتدت حتّى حروب نابليون بونابارت، (يحافظون على معتقداتهم سرًّا، ويكتبون تراثهم بالألخميادية طيلة القرنين السّابع عشر والثّامن عشر، كما يتّضح من كتابات سفراء المغرب إلى إسبانيا

كالشّريف الغسّاني سفير السُّلطان العلوي إسماعيل "1083ــ1140هـ /1672ــ1727م (د.حنيفي هلايلي، 2003، صفحة 73)، ومن نافلة القول أنَّ القائد الفرنسي نابليون بونوبارت قد أوقف العمل بقانون "دواوين محاكم التّفتيش" حينما دخلت جيوشه إسبانيا!

وقد جُوبِهت اللغة العربيّة مجابهة وحشيّة من قِبل "ديوان محاكم التّفتيش" *، ومع جميع المخاطر الّتي كانت تُمارس مع الموريسكيين ؛ بسبب كتابة تراثهم باللغة العربيّة، بالإضافة إلى لغة التّخاطب، وقراءة القرآن الكريم، وكانوا حريصين أشد الحرص في المحافظة على هذا التُّراث رغم المخاطر الجسيمة (البارو فالميس دي فوينتس، 1989، صفحة 49)، (وتعتمد لغة الألخميادو{على} مسخ للغة الرُّومانية القشتاليّة بأحرف عربيّة، وذلك بمبادلة كل حرف روماني قشتالي بحرف عربي يعتبر الأقرب إليه من النّاحية الصّوتيّة في محاولة للتّوسط بين المنطوق والمكتوب) (سميرة فخر الدِّين، موقع ساسة الأليكتروني sas في 25/ما رس/2016).

وقد عُرفت "لغة الخميادو" قبل قرار التّنصير الصّادر سنة 907هـ ــ 1501م؛ وبهذا الصّدد يترجم الدّكتور حسين مؤنس عنوان الفصل الرّابع عشر بـــ (أدب المستعجمين) من كتاب لـــ"آخل جنثالث بالنثيا"، والّذي تمَّ ترجمة هذا المصطلح إلى : (Los Aljamiados) (تاريخ الفكر الأندلسي ، صفحة 565).

أقول : إنّ إصرار الموريسكيين على الكتابة باللغة العربيّة أو بالحروف العربيّة؛ إنّما هو إثبات للهوية الإسلامية، والانتماء إلى أرومة الإسلام برغم كل الصِّعاب والمآسي الّتي تعرّض لها الموريسكيون، ولم يتناهوا عن كلِّ جادة يسلكونها؛ من أجل إثبات هويتهم وشخصيتهم، متذكرين مجدهم، وأيام عِزّهم أيام كانوا قِبلة للعالم، وعلى هذا التأسيس قاتل الموريسكيون لآخر لحظة في حياتهم، وإلى يومنا هذا يطالبون الحكومات الإسبانية المتعاقبة بحقوقهم، وها هي قد أثمرت في "إقليم اندلوثيا" في الجنوب الإسباني بحصولهم على "الحكم الذّاتي"، وما انفكّ أواخر مسلمي الأندلس من الموريسكيين على درجة من الإلحاح في استعمال لغتهم العربيّة، والتّمسك بالقرآن الكريم، لا بسبب الحبّ المجرد أو المقاومة الفطرية المعاندة للحكومة الإسبانية وديوان محاكم التّفتيش، بل بسبب أنَّ اللغة العربيّة هي أصل الدِّين الإسلامي؛ لأنّ بها يتمّ النطق والتّفاهم والتّعبّد! أي أنّها لغة "معاملات" و "عبادات" (لطفي عيسى، 2015، الصفحات 163-216)، الهوية الأندلسية المضطهدة.

إنّ ما أُنتج من أدب (شعراً كان أو نثراً) قد شكّل جانباً كبيراً من الآداب الإسبانية كما يرى "البارو فالميس دي فوينتس"، فيضيف معقباً: (حقيقة أنّنا الآن في يومنا هذا بعيدون عن التقييم الرُّومانسي للأدب الأعجمي الموريسكي، ففي النِّصف الأوّل من القرن التّاسع عشر اكتشفتُ بعض مؤلفات الموريسكيين، وراحت عقلية الرُّومانسيين تُطْري هذه المؤلفات، وتُثْني عليها كثيراً، وهذا ما نحن بعيدون عنه الآن !!) **، وهذه نظرة مُنصفة من قِبل "البارو دي فوينتيس"، وهو بهذا يؤدي ما عليه من المسؤولية الوطنية اتجاه تراث بلاده، ويصف أناسًا قاتلوا من أجل كتابة هذا اللون من الأدب، فهو بحقّ يعدُّ أي دي فويتس الأبن البار لأسلافه ولتراثهم حيث يضعه موضع تقدير واحترام، ويقدّمه للوسط الثقافي الإسباني والعالمي بوصفه جزءًا من تراث أمَّته الإسبانيّة، وليس الحديث عن فن العمارة الأندلسية والموريسكيّة ببعيد عن حديث الأدب، فحين نقرأ نصًّا يُمجّد ذلك الفن المعماري الّذي انماز بفرادة تصميمه ورونق جماله منذ القرون الوسطى حتّى يومنا هذا، ما حدا بالملك الأرغوني فرناندو أنْ يصدر أمرًا ملكيًا بالمحافظة على قصر الحمراء ناظرًا ومستشرفًا بأهمية هذه الجنبة العمرانية والتُّحفة الأثريّة في مستقبل الشّخصيّة الإسبانيّة ، ويرى أحد الباحثين (إنّ مجمّع قصور الحمراء في غرناطة الشّهير في القرنين الرّابع عشر والخامس عشر، وهو مكان إقامة السّلاطين المتنورين من سلالة الخلفاء، وقد بقى سالمًا بأعجوبة حتّى أيامنا هذه ليس الوحيد لكنّه النموذج الأكمل للبنية الفنيّة في العالم الإسلامي) (حوار الحضارات، المعنى، 209، صفحة 339).

أقول: وبالتّالي غدت آثار الحضارة الأندلسية النفط الدائم لإسبانية! كما يقول الإسبان أنفسهم في يومنا هذا، وكما حدثني بذلك أستاذي الدكتور رضا هادي عباس (أستاذ في قسم التاريخ/ كلية التربية/ الجامعة المستنصرية ، يجيد الاسبانية وهو من المتعاونين مع الباحثين).

كلمات في اللغة الإسبانيّة ذات أصل عربي (موقع : (عربي 21) الأليكتروني، لندن في 2 /اغسطس/ 2017):

نتيجة القرون التّسع الّتي عاشتها اللغة العربيّة في الفضاء الأندلسي، تركت أثرًا في أصل الألفاظ الإسبانية، وباختلاف الأرقام الإحصائية الّتي عيّنت المجموع الرّقمي لعدد الكلمات الّتي استوعبتها اللغة الإسبانية؛ نتيجة معيشتها مع اللغة العربيّة طوال تلك القرون.

فمنهم مَنْ حدّدها بستة آلاف ما بين عبارة وكلمة، ومنهم مَنْ حدّدها بأربعة آلاف كلمة، وعلى اختلاف التّحديدات، فان المفردات الّتي فرضت نفسها في اللسان الإسباني تدلِّل على حيوية اللغة العربيّة في لسان الآخر، وبالمقابل تدلُّ على حيوية استيعاب اللغة الإسبانيّة وقدرتها لما يحتاجها لسانها في معاملاتها، فمن تلك الألفاظ (موقع : (عربي 21) الأليكتروني، لندن في 2 /اغسطس/ 2017):

1ــ عبارة (إنْ شاء الله) = في اللغة الإسبانيّة (ojala) ، وتُلفظ (أوهالّا) .

2ــ كلمة (زيت) = في اللغة الإسبانيّة (Aceite)، وتُلفظ (أثيتي)، وتعني الزّيت المستخرج من الزّيتون، وأيضاً الزَّيت الّذي يُستخدم في السّيارات.

3ــ كلمة (سكر) = في اللغة الإسبانية(Azucar) ، وتُلفظ (أسوكر)، وهو لفظ مشابه أيضًا للكلمة بالأنجليزية ذاتها، حيث تُلفظ (شوكر)

4ــ كلمة (القهوة) = في اللغة الإسبانيّة (El CAFE) ، وتُلفظ (إل كافيه) .

5ــ كلمة (حتّى) = في اللغة الإسبانية (hasta) ، وتُلفظ (آستا) .

6ــ كلمة (البريّة) = في اللغة الإسبانيّة (barrio) ، وتُلفظ (باريو) ، وتعني (الحي) ، المكان المفتوح.

المبحث الثّاني :

النِّتاج الأدبي الموريسكي

النِّتاج الشِّعري الموريسكي :

بعد اكتشاف المخطوطات الموريسكية الّتي كُتِبت بلغة الألخميادو، ضمت الكثير من النصوص الشِّعريّة والنّثريّة، ومن هذا التّراث الشّعري (رباعيات المدحة النّبوية المسماة Almadha de alabandca alannabi Mohammad) : (المدحة دِ أَلَبَنْتَهْ أَلْ النّبي محمَّد) ، وتسمَّى (مدحة مديح النَّبي محمَّد)، وهي ترجع إلى القرن الرّابع عشر الميلادي، وقد نشرها المستشرق "مُلَرْ"، وقد صاغها شاعرها في قالب الزّجل، ووردت الخرجة فيها مكتوبة بحروف عربية، وأورد "بالنثيا" غصنين منها فقط:

يا ربّنا ، صلِّ عليه

واشملنا بحبِّك معه

وأخرجنا في جماعته

في رحاب محمّد

يا حبيبي يا محمّد ، والصّلاة على محمّد

ومَنْ يُرِدْ حُسن المآل

وبلوغ المقام العالي

فليكثر في ظلام الليالي

من الصّلاة على محمّد

يا حبيبي يا محمّد، والصّلاة على محمّد (تاريخ الفكر الأندلسي ، صفحة 578)

ومن هذا التُّراث قصيدة "مديح محمَّد" الّتي نشرها "جايانجوس" وترجمها "تيكنور"، وهي على طريقة الشِّعر "الأوروبي إِلِكْسَنْدِرِيني"، ويذكر "بالنثيا" أنّ مطلع هذه القصيدة يذكرنا بمطلع قصيدة "يوسف"، ولكن كلا المطلعين لم يذكرهما "بالنثيا"، وهذا واضح من السِّياق أنّه قد اطّلع على مطلع

القصيدتين من دون أن يوردهما؛ ففوت علينا فرصة ثمينة من الاطلاع على هذين المطلعين اللذين شكّلا علامة من علامات شكل القصيدة الموريسكية .

الحمد لله المتعال الحقّ

ذي الجلال والكمال وهو ربٌّ عادل

ربّ كلِّ شيء ، واحدٌ أحد ذو سيادة

صريح قوي صاحب الأمر، لا شكَّ فيه (تاريخ الفكر الأندلسي ، صفحة 576)، وكتب الشّاعر الموريسكي إبراهيم البُلفادي Ibrahim de Bolafd (مخمَّسة في الدِّفاع عن العقيدة الإسلامية)، ولم يُعثر على نصٍّ تلك المخمسة بحسب "بالنثيا"، ولكن عُثِرَ على شرح لها موسوم بـــ(شرح على الرِّسالة الَّتي ألَّفها إبراهيم البُلفادي نزيل الجزائر، وهو أعمى البصر منير القلب والذِّهن، وقد نظَمَ البُلفادي مخمَّسة يشرح فيها عقيدة الإسلام) (تاريخ الفكر الأندلسي ، صفحة 580) ، لم يعقّب كلاً من "بالنثيا" والدّكتور حسين مؤنس على لفظة "الرِّسالة"، ومعلوم أنَّ الرّسالة نوع أدبي نثري وليس شعري !)، ويرى "بالنثيا" أنّ الشّعراء الموريسكيين استخدموا بحور الشّعر الإسباني بمهارة، وأكّدوا عليها؛ لأنّهم كانوا ينشرون بوساطتها "أصول العقيدة الإسلامية" بين مسلميهم (تاريخ الفكر الأندلسي ، صفحة 479).

والدّليل على وجود

ربٍّ إله بالضَّرورة

هي المخلوقات نفسها ، وأنّنا

اللون والزّمن والموت

كما نرى النّاس يحيون

وحيثُ إنَّنا نرى في عالم المخلوقات

أنَّه لا فعل بدون فاعل

فمن هذا نفهم بوضوح

له من غير شكٍّ صانع (تاريخ الفكر الأندلسي ، الصفحات 580-581)

وبعد "بالنثيا" نتفاجأ بما أورده "بدرو لونغاس" من تراث ديني ضخم من حيث الكمِّ للموريسكيين، ويُعدُّ الأوسع في بابه فيطالعنا بـــ"وصايا الشَّريعة الإسلامية" مثلما سمَّاها ، ويخبرنا بأنَّها كانت معروفة (على هيئة بنود موجزة مكتوبة نثراً، وإنما أيضاً في أبيات شعرية ؛ تسهِّل لعامَّة الموريسكيين تذكُّرها) (بدرو لونغاس، 2010، صفحة 60).

(حافظوا على الصلاة

فهو أمر لازم

عندما تصل إلى السَّن *** .

حافِظْ عليها بدقَّةٍ

وإخلاصٍ كبيرٍ

وبتكريمٍ وورعٍ

نظراً لِمَن تُناجيه فيها

أطعْ أَبَاكَ وأُمَّكَ حتّى لو كَانَا كافِرَين) (بدرو لونغاس، 2010، الصفحات 60-61)

النِّتاج النّثري الموريسكي :

وسأورد قسما من هذه النُّصوص النَّثرية الّتي نقلها "لونغاس" وفق ما جاءت في الفصل الأوّل من كتابه الخاص بحياة الموريسكيين الدِّينية (بدرو لونغاس، 2010، الصفحات 56-60)، والموسوم بـــ"الإيمان" الّذي يعتمد على ثلاثة عَشَر ركناً أساسياً، ومن هذه الأركان: الرُّكن الثَّالث، ويبحث في فلسفة الموت التي تشمل العِباد دون استثناء، والبقاء لله تعالى كونه الخالق المطلق، ويعرض لطريقة المَلَكَين "مَلَك اليمين ومَلَك الشّمال" لأعمال العباد يوم القيامة ، فيقول:

(تأمّل في الله

وفكّر في أنّه سيأتي ،

في أنّ ساعته تقترب

ولن تتأخر

وأنّك ستُدفن وحيداً

معزولا تماماً

وستحاسب حساباً طويلاً

على كلِّ ما فعلته) (بدرو لونغاس، 2010، صفحة 56)

وفي الرّكن الرّابع ، وهو الإيمان بحساب القبر

(تذكّر الحساب

الّذي ستُقدِّمه

فهو حساب طويل مرير

تأمّل وتذكّر ضيق القبر

الحزين الكئيب

لمن لا يأْمل

في صديقنا المحبوب (محمّد)

وبعد الحساب

تذكّر تلك الحجرة

إنّها ضيقة مظلمة أو

إنَّ قلبي يرتعدُ من ذكرها

ليس فيها سلوى

إلّا ما قدَّمت من أعمال

لهذا فعليكَ أنْ تكونَ يقظاً

إنَّ الصَّالح تزوره ملائكة السَّماء

وسيُمنحُ أيضاً

السَّلام والكرامة

ينظر من هناك إلى المملكة

الَّتي هي بيت السَّلطة

الّذي سَيَسْكُن فيه

في سعادة ورضاء

أمّا المُسيء فسيجده مُظلماً

أسود ، كثير الشُّرور

مليئاً بالعقارب

لكي يدفع ثمن آثامه

بالآلام والتَّعب

وسيُعذَّب بالعقاب

عندما يرى اللهب

الّذي سيُقْذَفُ إليه) (بدرو لونغاس، 2010، الصفحات 57-58)

ــ وأنشأ الرّكن السّادس ، وهو الإيمان بالبعث ؛ لأجل الحساب ، فيقول:

(ففي يوم القيامة

صعب المخرج

شديد الألم والمجهود

قوي الصّياح

سنخرج جميعاً

عارين ، مجردين

وسنُتْرَكُ هناك

ثلاثمائة عام ، دون كلام

حتّى يُسمعُ صوت توسّل

نبينا المحبوب) (بدرو لونغاس، 2010، صفحة 56)

الشَّهادة الإسلامية :

إنَّ عبارة الإقرار بالشَّهادة الإسلامية لدى الموريسكيين على وفق ما ذكرها "لونغاس" هي "لا إله إلَّا الله ، محَّمد رسول الله"، بينما المتواتر في شريعتنا الإسلامية أَنَّ كلمة الشَّهادة هي " أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأشهد أنَّ محَمَّداً رسول الله"، الفارق هو عدم ورود لفظة "أشهد" في العبارتين اللتين تضمُّ الفعل المضارع "أشهد" الَّذي يفيد الاستمرارية ، والتَّجدد زائداً الفاعل المضمر "أنا" في كلتا العبارتين .

أقول : لربَّما المترجم "بدرو لونغاس" قد أغفل ترجمة لفظة "أشهد"؛ لأنَّه وحده مَنْ اطَّلع على المخطوط الموريسكي حين التَّرجمة، إذ لا يمكن أن يُصدَّق بوجود الإسلام في بلاد الأندلس أكثر من ثمانية قرون "92ــ 897هــ"، ومن ثَمَّ تُكْتَب "الشَّهادة الإسلامية" من دون لفظة "أشهد" مع أنَّ عنوان العبارتين الوارد في المخطوط مثلما ترجمه "لونغاس" "الشَّهادة الإسلامية"؟!

ثمَّ أنَّ مترجم الكتاب د. جمال عبد الرَّحمن، لا أعلم لماذا لم يناقش ذلك، وهو خلو عبارة "لونغاس" من لفظة "أشهد" في "الشَّهادة الإسلامية" ؟

وقد ألحق الموريسكيون قطعة من "التَّهليل" مع جملة "أشهد أن لا إله إلَّا الله، محمَّد رسول الله" الخاليتين من الفعل "أشهد" بابتهالات يُعدِّدُون فيها الصِّفات الإلهية المُنَزِه للذات المُقدَّسة من كلِّ ما يمسُّ بها من ألفاظ غير التّقديس والتَّوحيد والعبودية المطلقة لله تعالى .

الخاتمة

إنّ التُّراث الأدبي الموريسكي، تراث يستحق المدارسة ، والبحث المستمر مثلما يفعل الآن الباحثون الإسبان مع المخطوطات الموريسكيّة، ويعدُّونه التُّراث القومي للأمّة الإسبانية، وكما يسمونها إسبانيا المسلمة!

وأنا دائماً أُوصي المعنيين بالأدب الأندلسي أن يلتفتوا إلى التّراث الأدبيّ الموريسكي لأواخر مسلمي الأندلس بعد تسليم مملكة غرناطة 897 ــ 1018هـ / 1492 ــ 1609م؛ لأنّ فيه إكمال الهوية العربيّة والإسلاميّة لشعب قاتل من أجل لغته وهويته قُرابة مائة وعشرين سنة ملؤها القهر والظلم وغياهب السّجون والتّمثيل والتّعذيب والحرق والصّلب، لكن مع كلِّ ذلك وصل إلينا ما يستحق الاحترام والتّبجيل عِبر القرون الخالية، وأثبت وبالدّليل القاطع أن الشّعب الموريسكي شعب حيّ، وأمّة تستحق الحياة، ولم تركن إلى خنوع وذلّة، وهذا الأنموذج يجب أن نحتذي به اليوم ضدّ أي طاغية وفاسد يتلاعب بهويتنا ومقدراتنا، وما نعيشه اليوم لعله الأقرب الى ذلك مع فارق من الوجهة الإعلاميّة.

أرجو توجيه طلبة الدِّراسات العُليا على الولوج في هذا المضمار الحيّ من البحث العلمي، ومساعدتهم في تعلُّم اللغة الإسبانية ، وبالتعاون مع قسم اللغة الإسبانية / جامعة بغداد؛ للإفادة من تخصّصات أساتذته، وأنْ نأخذ بأيدي طلبة الدِّراسات الأوليّة في تقاريرهم وبحثوهم، وكذلك في بحوث التّخرّج، أنْ يُمارسوا البحث والكتابة في الشّأن الأدبي الموريسكي .

سائلا المولى القدير أن يوفق الجميع لخدمة لغة القرآن، وفتح أُفق أمام طلبتنا الأعزاء في موضوعات البحث العلمي في الدِّراسات العليا مثلما قلت ، ومن هنا أعلن استعدادي على مدِّ يد

العون إلى مَنْ يكتب في ذلك الموضوع؛ إكراما لدماء الشّهداء من الموريسكيين، وصرخاتهم في زنازين الظلمة والمهزومين.

الهوامش التعريفية:

* هناك مصنفات كثيرة أرّخت التاريخ الأسود لهذه المؤسّسة المتوحّشة، مثل محاكم التّفتيش منها، د.بشرى الزُّوبعي، وينظر، حركة المقاومة الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، د.عبد الواحد ذنون طه، ومحاكم التّفتيش، تحقيق لثلاثة وعشرين ملفًا لقضايا ضد المسلمين، د.سلطان بن محمّد القاسمي، ج 1ــ2 .

** أدب أواخر المسلمين المجهول في إسبانيا، وأدب الموريسكيين: ص 296، موقع مكتبة نور، في 2/يونيو/2013، وقد نشر هذا الموقع فصلة صغيرة من كتاب دي فوينتس مترجمة فقط من ص 296 ــ 311، ويبدو أن بقية الكتاب غير مترجمة مثلما أخبرني المترجم المصري د.جمال عبد الرّحمن في اتصال هاتفي معه في 2018/2/20م، غير ما نُشِر مترجماً على صفحات النت.

*** يقصد بــ(سنّ البلوغ)، حين تكون فريضة الصّلاة واجبة شرعًا عليه، والأصوب: أن تكون هكذا، بلوغ المكلف (شابًّا كان أو شابّة) سنّ التّكليف الشّرعي.

ثبت المصادر والمراجع

ــ الموريسكيون الأندلسيون، مرثيديس غارثيا أرينال، تر: د.جمال عبد الرّحمن، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة)، ط1، القاهرة، 2003.

ــ محاكم التّفتيش، د.بشرى الزُّوبعي، الجامعة المستنصرية، بغداد، 2012.

ــ حركة المقاومة الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، د.عبد الواحد ذنون طه، ط2، د.م ، د، ت.

ــ محاكم التّفتيش، تحقيق لثلاثة وعشرين ملفاً لقضايا ضدّ المسلمين في الأندلس، تح: الدّكتور سلطان بن محمّد القاسمي، مج 1ــ2، الشّارقة، الامارات العربيّة المتّحدة، منشورات القاسمين 2020م.

ــ ملحمة المغازي الموريسكية، البارو فالميس دي فوينتس، تر، د.صلاح فضل، ط1، القاهرة، 1989م.

ــ تاريخ الفكر الأندلسي، مكتبة الثقافة الدّينية، ط2، 1429هـ ــ 2008م.

ــ بين الذّاكرة والتّاريخ في التّأصيل وتحولات الهوية ، لطفي عيسى، افريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، 2015م.

ــ تاريخ الفكر الأندلسي، آنخل جنثالث بالنثيا، تر: الدّكتور حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدّينية، ط2، 1429هـ ــ 2008م.

ــ حوار الحضارات، المعنى، الأفكار، التّقنيات، تأليف مجموعة من الباحثين، تر، سُهيل فرح، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2009م

<u>الدّوريات</u>

ــ العصور الأندلسية، إصلاح فكري وتطور معرفي ، قراءة تحقيبية جديدة لفترة العصر الموريسكي 897ــ1018هـ ــ 1492ــ1609م، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج3 ، مج 66 ، بغداد ، العراق ، 1441هـ ــ 2019م.

ــ أهمية الألخميادو الموريسكي "المعجم الأبتيمولوجي القشتلي، خوان كروميناس، تر: أ. محمّد نجيب بن جميع، مجلّة دراسات أندلسيّة، ع 6، ذو القعدة، 1411هـ ، تونس، جوان 1991م،

ــ الحرف العربي تعبير مقدّس في المخطوطات الإلخميادية والموريسكية، د.حنيفي هلايلي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، الجزائر، ع الأوّل 1424هـ ــ جوان 2003م.

ـ حياة الموريسكيين الدِّينيّة، تأليف بدرو لونغاس، تر، د.جمال عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010

المصادر الإلكترونية

ـ موقع : Wikiwand، اللغة الكتالونية.

ـ موقع ساسة الإليكتروني sas : آخر حصون الأندلسيين، لغة الألخميادو السِّرّيّة، سميرة فخر الدِّين، في 25/ما رس/2016.

ـ موقع مكتبة نور، أدب أواخر المسلمين المجهول في إسبانيا، وأدب الموريسكيين: ص 296، في 2/يونيو/2013م.

ـ موقع : (عربي 21) الإليكتروني، لندن في 2 /اغسطس/ 2017م.